ثقافة الطفل المسلم(*)

ثقافة الطفل الواعية والجيدة هي الثقافة التي تراعي ميول الأطفال القرائية ورغباتهم واحتياجاتهم وفقاً لخصائص المرحلة العُمْرية التي يمر بها الطفل، في إطار من المثل السليمة والقيم الجديرة بأن تغرس في الطفل لتساعده على تكوين شخصية قوية طموحة تجعله يسهم في بناء صرح المجتمع الذي ينتمي إليه من أجل تحقيق طموحه وتطلعه نحو حياة سعيدة فاضلة ومستقبل مشرق.

والمجتمع، من خلال مؤسساته الثقافية والإعلامية المختلفة، هو المسؤول الأول عن ثقافة أطفاله على المستويين الشعبي والرسمي، والمؤسسات الثقافية الجيدة للأطفال؛ هذه الثقافة من شأنها بناء الطفل بناءً قوياً يمكن للمجتمع أن يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في عمليات التنمية من جوانبها، الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية.. إلخ.

والثقافة الواعية السليمة التي يجب أن توجه وتقدم للطفل المسلم يجب أن تهتم بمقاومة ما علق في أذهان أطفالنا من معلومات خاطئة، ومشوهة، نتيجة الغزو الثقافي الأجنبي الذي يتلقاه الطفل المسلم؛ بسبب عدم توافر وسائل وقنوات ثقافية إسلامية أصيلة «تستطيع أن تقف في وجه الثقافة الخارجية التي لا تعبر عن روح المجتمع وآماله وطموحاته المستقبلية؛ وهذا يعني الاهتمام بوسائل الثقافة وقنواتها، كالكتب، والمجلات، والإذاعة المسموعة والمرئية والخيالة [السينما] والمسرح وغيرها»[1] على أن تبذل الجهود على المستويات الرسمية والشعبية والطاقات العلمية، حتى يتمكن المجتمع الإسلامي من تقديم ثقافة إسلامية فعلية للطفل المسلم على الوجه المطلوب، ووفق الأسلوب المناسب لتقديمها.

(*) نشرت بمجلة الناشر العربي، ع15، 1989.

(1) مفتاح محمد دياب. «ثقافة الطفل العربي». الناشر العربي، ع5، يوليو 1985، ص72.

يمكن تقديم الألوان الثقافية المختلفة، من معلومات وحقائق ومفاهيم وحكم وأمثال ومواعظ وغيرها، من خلال وسائط ثقافة الأطفال المتعددة مثل: الكتب والمجلات والمسرح وبرامج الأطفال في الإذاعة المسموعة والمرئية والسينما. وكل وسيط من هذه الوسائط له طريقته وأساليبه وصفاته التي يجب أو تتوافر فيه؛ حتى يستطيع الطفل أن ينهل مما فيه من معلومات مختلفة تكون رصيده الفكري والثقافي العام الذي يساعده على تكوين شخصية إسلامية قوية، قادرة على الإسهام في بناء المجتمع الإسلامي الكبير الذي يقوم على أساس (أن لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح والإيمان بالله ورسوله).

ويعد الكتاب من أهم وسائط الثقافة وأقدمها، عرفه الإنسان منذ عصور ماضية قبل أن يعرف الأنواع الأخرى من الوسائط الثقافية والعلمية، وما يزال يقوم بدوره في التثقيف والتعليم حتى وقتنا هذا، على الرغم من ظهور الوسائط والوسائل الإلكترونية المتقدمة التي أخذت تنافس الكتاب في نقل الثقافية والمعرفة للإنسان، وما يزال الكتاب من أقوى الوسائط وأكثرها انتشاراً بين الناس بسبب المواصفات التي تتوافر فيه ولا تتوافر في غيره من الوسائط الأخرى.

وتنقسم كتب الأطفال من حيث المضمون إلى عدة أنواع، يمكن من خلالها إثراء حصيلة الطفل المسلم من الثقافة التي تسهم في منحه معرفة واسعة بكثير من القضايا الإسلامية، التي يجب أن يلم بها لتساعده على شق طريقه دون الخوف من أن يقع تحت تأثير أدوات الثقافة الأجنبية الموجهة للطفل المسلم، التي تحاول زعزعة ثقته في أمته العظيمة، من خلال الافتراءات التي يدسها أعداؤها ويروج لها الحاقدون عليها. وهذه الأنواع تتمثل في: كتب القصص والكتب العلمية، وكتب الشعر والأناشيد، ودوائر المعارف والموسوعات، وكتب الجغرافيا والرحلات، وكتب التاريخ والسِّير والتراجم، والكتب المصورة، وغيرها، من الكتب الأخرى المختلفة. ويمكن توظيف كل هذه الأنواع من أجل رفع المستوى الثقافي للطفل المسلم، وتقديم ثقافة إسلامية أصيلة تلبي احتياجات الطفل، وتعرفه على تقاليده

وعاداته الإسلامية وتعطيه قبساً من تاريخ أمته المجيدة، وتقدم له صورة مشرقة لأجداده ولسلفه الصالح وأبطاله العظام؛ ليُكوِّن من كل هذه الخلفيات والقضايا سداً منيعاً تتحطم عليه ثقافة الأعداء الذين يريدون تدمير أمتنا الإسلامية والطعن في تاريخنا وحضارتنا، وتكون جسراً يعبر عليه الأطفال المسلمون لبناء مجد جديد ومستقبل سعيد.

1. الكتب القصصية:

ويمكن أن تضم العديد من أنواع القصص الإسلامي، ويمكن أن تتناول كثيراً من القضايا الثقافية والمعلومات التي يكون الطفل المسلم في حاجة إليها، كأن تقدم له العديد من النماذج والمُثُل العليا والقيم السامية التي ينادي بها الدين الإسلامي الحنيف، ويحث على العمل بها واتِّباعها: كالحق، والعدل، وحب الخير للجميع، وحب الوطن، واحترام الوالدين والمعلمين، ومقاومة الظلم والفساد، والجهاد والكفاح في سبيل الحرية، ومساعدة الضعيف والفقير والمحروم والمحتاج. إلخ.

وهذه المُثُل والقيم النبيلة التي يدعو إليها الإسلام يمكن أن تقدم في قالب قصصي مشوق وفي أسلوب شيق سلس جميل يتناسب مع كل مرحلة من مراحل الطفولة المختلفة، حيث إنّ لكل مرحلة ما يناسبها من مفردات لغوية يستطيع الطفل أن يستوعبها بشكل جيد يساعده على فهم أحداثها وأهدافها وما تريد أن نقله له من معلومات من خلالها، وتحفل مكتبة الطفل المسلم بعدد لابأس به من أمثلة هذه القصص كسلسلة «المكتبة الدينية» التي أصدرتها دار نهضة مصر للطبع والنشر في القاهرة ـ لا تحمل تاريخ نشر، ويعتقد أنها نشرت في نهاية الخمسينيّات. أو بداية الستينيّات من هذا القرن ـ وهي على ثلاث مجموعات: في المجموعة الأولى قصص الرسل والأنبياء ومنها **آدم أبو البشر، ونوح وسفينته، ويوسف وإخوته**... إلخ، والمجموعة الثانية قصص (خاتم الرسل والأنبياء) من مولده حتى وفاته، صلى الله عليه وسلم. والمجموعة الثالثة قصص من القرآن الكريم، ومنها **البقرة الصفراء، وأصحاب الكهف والرقيم، وقُتِل أصحاب الأخدود**. وقد كتب مجموعات هذه

السلسلة الثلاث الكاتب إبراهيم عزوز، وهي أكثر من ثلاثين قصة دينية. وكذلك من أمثلتها سلسلة «حكايات عن القرآن الكريم» الي يقدمها الناشر على أنها «سلسلة من القصص الشائق تعمل على توضيح معاني القرآن الكريم بلغة مبسطة وصورة معبرة تجتذب إليها القارئ. وهي باب طريف في الأدب الإسلامي ولون جديد من التفسير العريق»[1]. وقد كتب معظم أجزاء هذه السلسلة الكاتب عبد الودود يوسف، ونشرتها دار الرشيد في دمشق. ومن بين العناوين التي ظهرت من هذه السلسلة: «**أرأيت الذي يكذب بالدين**»، و«**ويل لكل همزة لمزة**»، و«**إن الإنسان لفي خسر**»، و«**إنا أعطيناك الكوثر**»، وكل جزء من هذه السلسلة يتولى تفسير آية من آيات القرآن الكريم عن طريق قصة يستطيع الطفل من خلال قراءتها الوقوف على ما تعنيه هذه الآية الكريمة، وبالإضافة إلى شرح آيات القرآن الكريم، فإن الطفل من خلال هذه القصص يوسع قاموسه اللغوي ويزيد حصيلته اللغوية كلما قرأ قصة جديدة. ومن سلاسل القصص الدينية، سلسلة «القصص الديني» التي كتبها عبد الحميد جودة السحار، ونشرتها مكتبة مصر، وهدف منها كاتبها غرس الشعور الديني في الطفل، وتنمية ذوقه الفني والأدبي من خلال السرد القصصي للموضوعات التي اختارها. وتركزت موضوعات هذه السلسلة على قصص الأنبياء والمرسلين؛ ومن بين عناوين هذه السلسلة: **آدم وحواء**، **وقابيل وهابيل**، **وسفينة نوح**، **وناقة صالح**، **وإبراهيم يبحث عن ربه**. والملاحظ أن جميع كتب هذه السلسلة لا تحمل تاريخ النشر.

2. الكتب العلمية:

والكتب العلمية تهدف إلى «نقل وتوصيل الأفكار العلمية للأطفال، والإجابة عن تساؤلات في مواضيع العلوم عموماً، وقد تتخذ شكل أسئلة وأجوبة، أو ربما تتخذ بناءً أدبياً قريباً إلى القصة، أو على شكل آخر مثل الرحلات العلمية في أعماق

(1) عبد الودود يوسف. ومن شر حاسد إذا حسد. دمشق: دار الرشيد [د. ت]، صفحة الغلاف الأخير.

البحار، أو الفضاء الخارجي بين النجوم»[1]، ويمكن من خلالها أن نقدم للطفل المسلم ثقافة عامة في مواضيع العلوم المختلفة، ونجعله على علم وإلمام بالاختراعات والاكتشافات الحديثة التي هي قوام الحياة المعاصرة؛ حتى لا يشب بعيداً عن التقدم العلمي الذي يشهده العالم من حوله، وربما يشارك في صنع هذا التقدم حين يحين الوقت لذلك. ويمكن أن يدخل تحت هذا النوع تلك الكتب التي تتحدث بأسلوب مناسب عن الحقائق العلمية المعروفة، والاختراعات التي اخترعها عقل الإنسان، كما هو الحال في سلسلة «المستكشف الصغير» التي تصدرها «دار المسيرة» في بيروت، وإن كانت تفترض في القارئ قدراً من النضج العقلي والمعرفي، ومن بين موضوعات هذه السلسلة: عالم تحت البحار، حيث تقدم للطفل معلومات عن المحيطات وتكوينها، والبحار وما يعيش فيها من مخلوقات متنوعة لا تحصى ولا تعد. وهي دليل على قدرة الله، وكذلك طرق حياة هذه المخلوقات البحرية التي يستفيد منها الإنسان في أمور كثيرة، مثل الغذاء والملبس والزينة وغير ذلك. ثم يتطرق فيها الحديث عن كيفية اكتشاف الإنسان لأعماق البحار عن طريق الآلات العلمية التي صنعها خصيصاً لهذا الغرض، والمتمثلة في الغواصات والمحامل البحرية؛ وكيف ساعدت هذه الآلات والأجهزة على اكتشاف الكثير من الكنوز المدفونة في أعماق البحار والمحيطات، وساعدت على معرفة الإنسان لحياة هذه المخلوقات البحرية ومدى الاستفادة منها. وينتهي هذا الكتاب بملخص عن تاريخ اكتشاف عالم ما تحت البحار[2].

ومعظم كتب هذه السلسلة مترجمة عن اللغة الإنجليزية، ومن ضمن عناوين هذه السلسلة: تعال نكتشف الكواكب، ورحلات الحيوانات، وتعال نكتشف عصر البخار. ومن الكتب العلمية المقدمة للناشئة سلسلة «كيف تعمل» التي أصدرتها دار

---

(1) مفتاح محمد دياب. مقدمة في أدب الأطفال. طرابلس: المنشأة الشعبية العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1985، ص71.

(2) هالة نابلسي (مترجمة). عالم تحت البحار. بيروت: دار المسيرة، 1980، دون ترقيم. سلسلة المستكشف الصغير.

«ليد بيرد» الإنجليزية ونقلتها إلى العربية «مكتبة لبنان»، وتناولت عدة مواضيع توضح للطفل كيفية عمل بعض الأجهزة الحديثة مثل آلة التصوير [الكاميرا]، والسيارة، والهاتف، والإذاعة المرئية [التلفزة]، والمرقب، والمجهر، والطائرة، والقطار، والحاسب الإلكتروني [الحاسوب]، وغيرها من الآلات الأخرى التي يجب أن يعرفها طفل اليوم، لأنها تمثل جزءاً من بيئته التي يعيش فيها. ومن أمثلة هذه السلسلة كتاب كيف يعمل الصاروخ، الذي يبين للطفل الفرق أو الاختلاف بين الطائرة والصاروخ، والمبادئ الأساسية أو الأولية للدفع الصاروخي، وكيف يندفع الصاروخ إلى أعلى، وأنواع الوقود المستخدمة في الصواريخ، وغيرها من المعلومات المهمة الأخرى؛ مثل أنواع الصواريخ والمحطات الأرضية التي يتم فيها مراقبة تحركات الصاروخ والتحكم فيه، وحمولة الصاروخ والتحرك في الفضاء وكيفية إرسال الرسائل واستقبالها من الصاروخ وإليه. وغيرها من المعلومات[1]. كذلك أصدرت دار ليديبرد سلسلة «الكتب الرائدة» التي تحتوي على معلومات أولية أساسية للناشئة عن عدة موضوعات مثل: الماء والهواء، والصوت، والجسور، والزواحف، والنار، والأسنان، والسيارة، والكائنات الحية، وعالم الأشجار. . إلخ.

ويندرج تحت فئة الكتب العلمية عدة سلاسل أصدرتها بعض دور النشر العربية ومعظمها في بيروت؛ مثل سلسلة «علوم ومعارف» التي أصدرتها دار شهرزاد، وهي دار نشر متخصصة في نشر كتب الأطفال، وتناولت مواضيع متعددة ذات أهمية في حياة الإنسان؛ مثل الماء والهواء والسفن، والغذاء، ووسائل النقل والمواصلات، والملابس، والمعادن، والحيوانات، والزراعة. ومن أمثلة هذه السلسلة كتاب النفط ثروة وقوة، وهو يبين للطفل استخدامات مشتقات النفط كالبنزين في إدارة محرك السيارة، وكيف تزداد سرعة السيارة بازدياد كمية الوقود المتفجر في محرك السيارة، ثم يبدأ في توضيح كيفية تكوُّن النفط منذ ملايين السنين، وكيف عرف الإنسان النفط، وبداية ظهور آبار النفط الأولى، وكيفية حفر الآبار النفطية، والمواد التي يتركب منها النفط، وكيف ينقل النفط إلى المصافي

(1) داود كاري. كيف يعمل الصاروخ. ترجمة أحمد الخطيب بيروت: مكتبة لبنان، 1981، ص51.

لتكريره، والصناعات التي تقوم على النفط، وتوزيع الثروة النفطية في مناطق العالم المختلفة، ومكان البلدان العربية منها[1].

ويقع تحت هذه الفئة من الكتب سلسلة «العالم بين يديك» التي أصدرتها «الدار العربية للكتاب» في ليبيا وتونس، وتهدف، كما هو مبين على ظهر صفحة العنوان، إلى تقديم معلومات عامة للقارئ الصغير بطريقة جذابة سهلة مبسطة ومشوقة نصاً وصورة. ومن أمثلة هذه السلسلة؛ النحل، السيارة، الصحاري، العين... إلخ. والملاحظ أن جميع عناوين هذه السلسلة مترجمة عن لغات أجنبية.

بالإضافة إلى المعلومات العلمية التي يمكن للطفل المسلم أن يتحصل عليها من هذه الكتب، يمكن تقديم معلومات أخرى تتعلق بالعلوم في الحضارة الإسلامية، وكيف تطورت، وما هي العلوم التي برع فيها المسلمون اختراعاً أو تطوراً، وإسهام العلماء المسلمين في الحضارة الإنسانية، وكيف أثرت العلوم الإسلامية المختلفة في انبعاث العلوم الحديثة في أوربا وغيرها، وتعريف بالعلماء المسلمين في مختلف فروع العلم والمعرفة، ومن خلال مثل هذه المعلومات عن العلوم في الحضارةالإسلامية نغرس في الطفل المسلم حب الاشتغال بالعلم والبحث العلمي، والتحصيل العلمي الذي من شأنه أن يعيد بناء الحضارة الإسلامية من جديد على أساس أن لأجدادنا سبقاً في هذا المجال، علينا أن نكمله من أجل سعادة الإنسان، ومن أجل مزيد من الفهم والمعرفة والاستيعاب لبدائع صنع الخالق العظيم، سبحانه وتعالى، الذي لم يؤت الإنسان إلا جزءاً يسيراً من علمه، وأن الإسلام دين يأمر بالعلم ويحث عليه مصداقاً لقوله سبحانه: «وقل رب زدني علماً»، وكذلك قوله: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً».

3. كتب الشعر والأناشيد:

وهذه يمكن أن تضم مقطوعات شعرية وأناشيد تتحدث عن موضوعات تتعلق بالإسلام والثقافة الإسلامية؛ كالمناجاة والتسبيح لله، ومدح الرسول صلى الله عليه

---

(1) النفط، ثروة وقوة. بيروت: دار شهرزاد [د. ت]، ص24، سلسلة علوم ومعارف.

وسلم، وتُسهم مثل هذه الكتب في تنمية الذوق الفني والأدبي، وتقوية التذوق اللغوي لدى الأطفال المسلمين. بالإضافة إلى أن الأشعار والأناشيد تلبي جانباً كبيراً من احتياجات الأطفال النفسية والعاطفية والاجتماعية والأخلاقية. والأطفال يحبون قراءة الشعر والأناشيد وسماعها لما يوجد بها من أوزان وإيقاع موسيقي، فتراهم دائماً يرددون المقطوعات الشعرية الخفيفة السهلة، والأناشيد التي يفهمونها ويستوعبون ما ترمي أو تهدف إليه.

بالإضافة إلى ذلك يمكن أن نقدم للأطفال موضوعات تحدث عنها الشعراء المسلمون في العصور الإسلامية المختلفة، ونعرف الطفل المسلم بكبار الشعراء المسلمين؛ مثل حسان بن ثابت شاعر الرسول، وغيره من العصر القدم، وكالشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال من العصر الحديث.

4. دوائر المعارف والموسوعات والمعاجم:

وتقدم هذه الأنواع إلى مختلف فئات الطفولة ابتداء من سن ما قبل المدرسة (مرحلة الاستعداد للقراءة) كالمعاجم المصورة التي تعتمد في تقديم معلوماتها على الصورة بدل النص، لأن أطفال المرحلة المبكرة (4 ـ 6 سنوات) مازالوا غير قادرين على القراءة، أو أنهم في بداية تعلم هذه المهارة، ثم تتدرج معلوماتها نصاً وصورة بما يناسب مرحلة العمر التي يمر بها الطفل.

ودوائر المعارف والموسوعات تقدم للطفل المسلم معلومات أولية في صورة مبسطة وأسلوب سهل خفيف في كثير من الموضوعات التي يميل الطفل إليها ويرغب في معرفتها؛ كالمعلومات عن الحيوانات والطيور والأزهار والألعاب وكثير من الأشياء المألوفة لديه ويرغب في معرفتها أكثر. والواقع أن مثل هذه الأعمال مازالت نادرة باللغة العربية، وما هو موجود منها تمّ نقله إلى العربية من لغات أجنبية، خاصة الإنجليزية والفرنسية، إلا أنه قد يسد نقصاً يؤدي الغرض المطلوب في تثقيف الطفل المسلم الثقافة العلمية الخالية من التشويه أو الانحياز، وهو ما يحدث أحياناً في الموسوعات التاريخية أو السياسية. والمثال الوحيد الذي بين أيدينا على هذه الأنواع

هو موسوعة الأطفال العلمية، التي نقلتها إلى العربية ونشرتها في بيروت الشركة «الأهلية للنشر والتوزيع» عام 1980. وهي موسوعة عامة تتناول عدة مواضيع هي الحيوانات اللبونة، والطيور، والحشرات، والأشجار، والأزهار، والثمار أو الفواكه. والملاحظ على هذه الموسوعة أن جانب الصور والرسوم فيها يغطي مساحة أكبر من النص، لزيادة فهم الأطفال واستيعابهم للمضمون الذي تقدمه هذه الموسوعة، حيث يمكن للصورة أن تعبر عن النص تعبيراً دقيقاً وجيداً. والصور واضحة ودقيقة والألوان جذابة زاهية تجعل الطفل لا يمل من النظر إليها والتمعن فيها.

وجميع موضوعات هذه الموسوعة هي من وضع جنيفر داي، إلا أن الرسوم قام بإعدادها آن بروستر (الحيوانات اللبونة)، وطوني شن (الطيور)، ودورثيا بارلو (الحشرات والزهور)، ومثابو ساتيو (الأشجار)، وأنيل كوتشينغ (الثمار)[1]. وبالإضافة إلى المعلومات الأولية عن هذه الموضوعات وأمثالها، يمكن العمل على إصدار موسوعات إسلامية مبسطة للأطفال المسلمين، تبين في أسلوب واضح ومناسب لمراحل الطفولة المختلفة، ولمقدرة الأطفال العقلية، كيف يستفيد الإنسان من الحيوانات المختلفة مثلاً، ومن الأشجار بأنواعها، والأضرار التي تسببّها الحشرات للإنسان حتى يتقيها، وقيمة الزهور وكيفية العناية بها وتنسيقها... إلخ. فهذه الأشياء خلقها الله ليستفيد الإنسان من كثير منها في غذائه أو ملبسه أو عمله أو بيئته. وكذلك العمل على إصدار المعاجم المصورة التي يمكن من خلالها إثراء حصيلة الطفل المسلم اللغوية عن طريق الصور والرسوم.

5. كتب الجغرافيا والرحلات:

ويهدف هذا لنوع من كتب الأطفال إلى تنمية معلومات الطفل الجغرافية وتعريفه ببلدان العالم وشعوبها المحيطة به، التي تشاركه الحياة على هذا الكوكب، ومقومات تلك البلدان وثرواتها الطبيعية وطرق معيشتها وثقافتها والأجناس البشرية المختلفة التي تسكن مناطق الأرض شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً... إلخ، كذلك

---

(1) جنيفر داي. موسوعة الأطفال المصورة. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1980، ص128.

يمكن أن تمد الأطفال بمعلومات وحقائق عن المناطق الجغرافية المختلفة؛ الحارة والباردة والاستوائية، كالصحاري، والمناطق القطبية الباردة، والأدغال الاستوائية، وتعريفه بمناطق الإنتاج والصناعات وما تشتهر به بلدان العالم.

ويمكن أن تأخذ هذه الكتب شكل المعلومات المباشرة عن المناطق الجغرافية، أو قد تأخذ شكل الرحلات الجغرافية التي يقوم بها الرحالة، فيصفون المناطق والبلدان التي وصلوا إليها، يقدمون من خلال الوصف معلومات غير مباشرة للأطفال. أو قد تكون على شكل بناء قصصي يتناول منطقة أو حياة شعب من الشعوب أو غير ذلك من أشكال الكتابة. ومن أمثلة هذا النوع من الكتب مجموعة عناوين سلسلة «العالم بين يديك» التي أصدرتها «الدار العربية للكتاب» في ليبيا وتونس ومنها: **الأدغال، الشمس، على الشاطئ، مصر، الصحاري**، وهي جميعاً مترجمة عن لغات أجنبية. ومن أمثلة هذا النوع أيضاً سلسلة «حياة الإنسان» التي أصدرتها «دار شهرزاد» في بيروت، وتناولت حياة الإنسان في كثير من بقاع الدنيا؛ مثل حياة قبائل الهنود الحمر، وحياة الناس في الصحراء، وحياة الإنسان في مناطق زراعة الأرز، والناس في القطب الشمالي، وحياة البحر، مثل كتاب **على شواطئ البحار**، الذي يقدم نبذة عن علاقة الإنسان بالبحر منذ القدم، والغذاء والمسكن، ومناطق الصيد البحرية القريبة والبعيدة كيف يستغلها الإنسان في عمليات الصيد، وكيفية تربية الأسماك وصيد الحوت الكبير، وعمليات تصنيع الأسماك التي يتم صيدها من البحار، والتجارة البحريّة والسفر بالبحر، والصناعات التي تقام على الشواطئ، والحركة السياحية التي تزدهر على الشواطئ المختلفة. ويقدم هذا الكتاب هذه المعلومات مصحوبة بكثير من الصور والرسوم الجميلة الواضحة التي تزيد من جاذبية الكتاب والتعبير عن مضمون ما يحتويه تعبيراً دقيقاً[1].

ويستطيع أدب الأطفال أن يمد الطفل المسلم بمعلومات عامة أساسية عن شعوب العالم الإسلامي المختلفة، وأن يعرفه بالبلدان الإسلامية وعاداتها وتقاليدها

(1) على شواطئ البحار. بيروت: دار شهرزاد [د. ت]، 24 ص، سلسلة حياة الإنسان.

وسكانها وصناعاتها وثرواتها؛ حتى تزداد الروابط بين أطفال العالم الإسلامي وينشأوا على معرفة بعضهم بعضاً، خاصة أن العامل الذي يشدهم جميعاً هو الإيمان بالله ورسله وملائكته، وهو عامل روحي له كبير الأثر في زرع المحبة والألفة بين المسلمن مهما كان جنسهم ولونهم، ولافرق بينهم أبداً. فمن خلال هذه النوعية من الكتب يتعرف الطفل العربي المسلم على حياة إخوانه المسلمين في الصين مثلاً، والهند والاتحاد السوفيتي وإفريقية، وغيرها من المناطق الأخرى التي يعيش فيها مسلمون، ويتعرف أطفال تلك المناطق على المسلمين في الوطن العربي وأوروبا وأمريكا، وكل واحد منهم يتمنى القوة والمنعة والخير والتقدم للآخر.

6. كتب التاريخ والسِّيَر والتراجم:

تهدف كتب التاريخ في أشكالها المتعددة إلى إمداد الأطفال بمعلومات وحقائق تاريخية، وإلى جعل الأطفال يقرأون تاريخ أمتهم باستمرار، حتى لا يكون هناك انفصال بين الطفل وتاريخ أمته، وليكون التاريخ أداة فاعلة تساعد الطفل على شق طريقه حاضراً ومستقبلاً، وتتناول كتب التاريخ الموجهة للأطفال موضوعات متنوعة عن تاريخ الأمة التي ينتمي إليها الطفل، والأمم الأخرى والحضارات التي سبقت حضارة أمته، وتبين هذه الكتب تأثير هذه الحضارة في الحضارة الإنسانية بشكل عام، ومن ثم يعي الطفل الدور الذي قامت به حضارة الأمة التي ينتمي إليها في التاريخ الإنساني وما قدمته للبشرية من أجل التقدم ومن أجل سعادة الإنسان وتخليصه من قيود الجهل والتخلف. . . إلخ، فقد تتحدث كتب التاريخ عن الحوادث التاريخية الكبيرة؛ مثل الحروب بين الأمم والشعوب، وما جرّته هذه الحروب على الإنسان من ويلات، وما غرسته من حقد وعداء بين الإنسان وأخيه الإنسان، وما أحدثته من دمار للحضارات الإنسانية، لا لشيء إلا لحب السيطرة والحقد الأعمى الذي يجر إلى الدمار والخراب. ومن الناحية الأخرى، فقد تتحدث هذه الكتب عن الوجه الحضاري والإنساني للأمم والشعوب قديماً وحديثاً، فتبين كفاح الشعوب من أجل العزة والكرامة، ومن أجل إتاحة الفرص للإنسان للإبداع والابتكار.

وهذه المعلومات التي يتحصل عليها الطفل تجعله يبدي رأيه في كثير من الأمور، ويكون مفهومه الخاص لكثير من القضايا، فيكون له موقفه الخاص ووجهة نظره في القضايا المتشابهة التي يمر بها العالم في الوقت الحاضر. وكتب التاريخ المقدمة للطفل المسلم يجب أن تأخذ على عاتقها تقديم التاريخ الإسلامي للطفل منذ بداية الدعوة الإسلامية، وأن ينبع هذا التاريخ «من اقتناع بأنه تاريخ صنعه رجال صدقوا الله ونصروه وأخلصوا النية فنصرهم الله، فكانت إنجازاتهم في كل ميادين الحياة خير ما يقدم»[1]. والتاريخ الإسلامي غني جداً بالموضوعات التي يمكن أن تكون مثار إعجاب الأطفال وإثارتهم؛ كموضوعات العلوم الإسلامية التي تتناول العلم في الإسلام، ودور العلماء في تقدم الحضارة الإسلامية، وما قدمه العلماء المسلمون للحضارة الإنسانية عامة؛ من إضافات واختراعات واكتشافات، وموضوعات في الأدب والشعر والفكاهة، تحفل بها كتب التراث الإسلامي، وقصص عن الشجاعة والجرأة والإقدام والوقوف في وجه الظلم، والجهاد في سبيل الله من أجل إعلاء الحق، وقصص الوفاء والكرم والصفات النبيلة التي يدعو إليها الإسلام، كمكارم الأخلاق، ومساعدة الضعيف، والدعوة إلى العلم، وغير ذلك من الموضوعات التي يرغب الأطفال في قراءتها، ويمكن أن تلبي جانباً من احتياجاتهم الفكرية أو العقلية أو النفسية أو العاطفية أو الاجتماعية، وتغرس فيهم حب عادة القراءة والاستمرار عليها، وهي كما نعرف جميعاً الهدف الأساسي لأدب الأطفال.

وكتب التاريخ المقدمة للأطفال قد تهدف إلى أهداف عامة أو أهداف خاصة تتعلق بتاريخ المنطقة أو البلد الذي يعيش فيه الطفل. ومن بين الأهداف العامة للكتابة التاريخية للأطفال تفسير الحاضر والمستقبل على ضوء الماضي، وتأكيد فكرة التطور وتقدير التراث الإنساني؛ وتوضيح قدرة الإنسان على صنع واقعه

---

(1) محمد بسام ملص. «التاريخ الإسلامي وأطفالنا». رسالة الخليج العربي س7 ع22، 1307هـ/ 1987، ص40.

وتاريخه؛ وتنمية الولاء للأمة والوطن والثقافة؛ وتقدير التعاون من أجل بناء الحضارة الإنسانية؛ وتنمية الشعور بالدور الاجتماعي للأطفال؛ وتنمية الاتجاهات الكفيلة بتحقيق التفاهم والسلام الدولي[1].

وكتب التاريخ المقدمة للطفل المسلم قد تحتوي على بعض الأهداف الخاصة بالعالم الإسلامي والأمة الإسلامية؛ مثل اختيار الله لمحمد، عليه السلام، لحمل الرسالة الإسلامية المجيدة، وما بها من قيم ومثل عليا رائعة هدفها سعادة الإنسان في كل زمان ومكان؛ ودور الإسلام في تكوين الدولة الإسلامية المترامية الأطراف؛ وإقبال الشعوب الأخرى على الدخول في الإسلام عندما وجدوا أنه دين التوحيد والمساواة بين البشر؛ ودعوة الإسلام أتباعه إلى الأخذ بناصية العلم والمعرفة والبحث عنها والجد في طلبها من المهد إلى اللحد، ودور العلم في تقدم الإنسانية؛ والحضارة الإسلامية ودورها الكبير في حفظ تراث الحضارات السابقة عنها؛ وإسهام العلوم الإسلامية في بعض الحضارة الحديثة.

وحتى تؤدي كتب التاريخ الموجهة للأطفال الهدف الذي تسعى إليه، يجب أن تكون الأهداف والقيم والحقائق التي تحملها واضحة، بحيث يتم استيعابها من طرف القراء الصغار دون مشقة، ودون أن تبعث في الطفل الملل والنفور منها والابتعاد عنها. ومن هنا فإن الكتابة التاريخية للأطفال يجب أن تراعي الأسس والخصائص التي تميز الطفولة في مراحلها المختلفة، وقدرات الأطفال على إدراك وفهم ما يقدم لهم من معلومات وحقائق. ويجب أن تكون الكتابة التاريخية أداة ووسيلة تثير تفكير الطفل وتعمل على تنميته؛ بحيث لا تكون كتب التاريخ الموجهة للطفل مجرد مستودع أو مخزن للمعلومات والحقائق التاريخية فقط، يحفظها الطفل ثم ينساها بعد فترة، بل يجب أن تعمل على إثارة تفكير الأطفال وتسمح لهم

---

(1) محمد الهادي عفيفي «كتابة تاريخ الوطن العربي على مستوى الأطفال» حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي، بيرورت 7 ـ 17/ 9/ 1970 القاهرة. جامعة الدولة العربية، الإدارة الثقافية، 1972، ص122 ـ125.

«باستخلاص النتائج وإصدار الأحكام وربط المادة التاريخية بأحداث مجتمعهم وظروفهم، وما فيه من مظاهر طبيعية واجتماعية»[1]. كذلك من بين ما يجب أن يراعى عند تقديم التاريخ للأطفال أن تكون الكتابة مناسبة لمستوى قدرة الأطفال على فهم المادة المقدمة لهم، حيث إن لكل مرحلة من مراحل الطفولة قدرتها العقلية على فهم الثقافة التي تقدم لها؛ وأن تهدف الكتابة التاريخية للأطفال إلى تنمية ميول الأطفال وحاجاتهم واحتياجاتهم؛ وإلى تكوين الاتجاهات والقيم والمُثُل المرغوب فيها؛ وأن تكون كتابة التاريخ ذات فائدة في مجالات المعرفة الأخرى، ويجب أيضاً أن تخاطب الطفل بوصفه كائناً نشطاً متكاملاً[2].

وكتب السِّيَر والتراجم هي فرع من فروع الأدب يتعامل مع تاريخ حياة أفراد من الرجال والنساء. ويراعى في هذه الكتب أن تتوافر فيها ثلاثة أمور أساسية في كتابة السيرة والترجمة وهي التاريخ (الفترة الزمنية التي عاش فيها الفرد موضوع الكتاب)، والشخص أو الفرد موضوع الكتاب، والفن الأدبي الذي يقدم من خلاله حياة هذه الشخصية. فالحقائق يجب أن تكون واضحة صحيحة وأصلية يمكن التحقق منها؛ والموضوع يجب أن يكون ذا علاقة بالفرد أو الشخصية وليس مثالاً على تلك الفترة؛ والكتابة يجب أن تكون عملاً أدبياً وفنياً يعرض المعلومات والحقائق في أسلوب سلس ومشوق دون تلاعب بالألفاظ أو غيرها[3]. وهذا النوع من الكتب قد يتوسع مجاله ليغطي حياة أشخاص أو أفراد معروفين ومشهورين لعبوا دوراً بارزاً وأثروا تأثيراً حيوياً في تاريخ العالم في فترات مختلفة، أو قد يتحدث عن شخصيات من التاريخ المعاصر. وتتعدد موضوعات كتب السير والتراجم فتضم حياة القادة السياسيين، والعسكريين، والمكتشفين، والمخترعين، والأطباء،

---

(1) نفس المصدر، ص1331.

(2) نفس المصدر، ص129 ـ 133.

(3) Zena Sutherland and May H. Arbuthnot. **Children and Books.** 5th. ed. Glenview; Illinois: Scott, Foresman and Company, 1977, p 400.

والموسيقيين، والفنانين الآخرين وغيرهم[1]. وهناك عشرات العناوين باللغة العربية متوافرة للطفل المسلم تتناول شخصيات من التاريخ الإسلامي كسيرة الرسول الكريم، وحياة الخلفاء الراشدين، والقادة والأبطال المسلمين، والعلماء والأدباء، وغيرهم من الشخصيات التي ذكرها وخلدها التاريخ الإسلامي قديماً، وكثير من الشخصيات المعاصرة كأبطال الجهاد والكفاح ضد المستعمر الأوربي، ودعاة الإصلاح والصحوة وغيرهم. فهناك العديد من الكتب التي تناولت حياة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وحياة الخليفة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والقادة الأفذاذ مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، وسيف الدولة، والمعتصم، وهارون الرشيد، وعمر بن عبد العزيز، وصقر قريش، وصلاح الدين الأيوبي، وعمر المختار، وعبد الكريم الخطابي، والأمير عبد القادر الجزائري... إلخ. ومن أمثلة هذه الكتب سلسلة «من حياة الرسول» التي كتبها الأديب العربي كامل كيلاني، ونشرت عدة مرات في القاهرة ثم في تونس، وسلسلة «تاريخ العرب والإسلام للفتيان والفتيات» التي نشرتها «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» في بيروت بالاشتراك مع «الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان» في ليبيا؛ وصدر منها «محمد رسول الله» في خمسة أجزاء، وأبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب في جزئين، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وأبو ذر الغفاري. وهذه السلسلة كتبت للأطفال في مرحلة ما بعد الطفولة المتأخرة. كذلك سلسلة «علماء العرب» التي أصدرتها أيضاً «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» بالاشتراك مع «الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان»، وتناولت حياة مجموعة من علماء العرب والمسلمين ومفكريهم مثل ابن سينا، وابن الهيثم، والرازي، وابن خلدون، وابن بطوطة، والكندي، والجاحظ وغيرهم. وأصدرت «دار المسيرة» في

(1) Frances De Cordova «Children's Literature». **Encyclopedia of Library and Information Science.** New york: Marcel Dekker, 1970, Vol. 4, P. 596.

بيروت سلسلة «كواكب الإسلام» في عشرة أجزاء تحدثت عن حياة الرسول الكريم وأصحابه، وكتب هذه السلسلة الدكتور علي شلق.

وتحتاج كتب التاريخ والسِّيَرِ والتراجم من الكاتب أن يتوخى الدقة والحرص الشديد على قراءة التاريخ الإسلامي ومعرفة مصادر هذا التاريخ، وأن يقدم الحقائق والمعلومات بموضوعية دون انحياز إلى شخصية معينة أو حدث ما، والتقليل من شأن شخصية أخرى أو حدث آخر، ربما كان له تأثير كبير في مجريات الأمور في تلك الفترة أو المرحلة من تاريخ أمتنا العظيمة.

وقد انتقدت إحدى الدراسات الحديثة عدداً من الكتب التي تناولت حياة عدد من الخلفاء الراشدين وعدد من الشخصيات الإسلامية، وبينت أن هذه الكتب تضم معلومات مخطئة ومشوهة، ويمكن أن تؤدي بالطفل القارئ إياها إلى أن ينظر إلى تاريخ أمته نظرة مشوهة، عكس ما تريد له أن ينظر إليه نظرة اعتزاز وفخر، فيتعلم منه ويستفيد منه ويستفيد به، ويعتبر ويتعظ ويتهيَّأ لصنع مستقبل أفضل وأعظم، أساسه التقوى والإخلاص والمحبة وعمل الخير والعلم النافع[1].

أما مرحلة الطفولة المبكرة (4 ـ 6 سنوات) فهناك أنواع أخرى من الكتب التي تناسب أطفال هذه المرحلة. والأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة هم في سن ما قبل المدرسة أو في بداية المدرسة الابتدائية. وهذه الأنواع من الكتب هي على قدر كبير من الأهمية حيث إنها تسهم في رفع درجة الاستعداد للقراءة عند الطفل، وتخلق بينه وبين الكتب ومواد القراءة الأخرى رابطة قويةوصداقة دائمة تستمر مع الطفل في طفولته وشبابه وشيخوخته، وهذا في الواقع أحد أهم أهداف ثقافة الطفل التي تسعى لتحقيقها وغرسها لدى الأطفال. وتنقسم الكتب التي تقدم إلىأطفال هذه المرحلة إلى عدة أنواع على النحو الآتي:

1 ـ كتب الصور أو الكتب المصورة ـ Picture books ـ ويمكن للطفل من خلالها أن يجد سلسلة من الرسوم المتتالية التي تشكل قصة قصيرة، أو تعبر عن معنى

(1) محمد بسام ملص، ص19 ـ 48.

باستطاعة الطفل أن يفهمها ويتابعها بشغف وشوق كبير. ولهذه الكتب دور فعال في حياة الطفل التعليمية في السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية، ويكون لها أثر كبير على أسلوب نموه من مختلف الجوانب، وعن طريقها وطريق بقية الأنواع الأخرى يبين الطفل استعداده للقراءة وتوسيع أُفقه وإثراء قاموسه اللغوي، وتساعده على توطيد علاقاته مع غيره من الأطفال، وتمنحه القدرة على الفهم والملاحظة الدقيقة، وعلى استخدام تفكيره وعقله؛ ليتعود على التفكير السليم في طفولته وشبابه فيما حوله، وليصل بعد التأمل والتدبير إلى الإيمان القوي بقدرة الله التي أبدعت هذا الكون، وبقدرة العقل الإنساني الذي هو أعظم نعم الله علينا، فينشأ محباً لدينه، مخلصاً لربه، مؤمناً برسوله، عاملاً بما يدعو إليه الإسلام الحنيف.

والكتب المصورة نوعان؛ كتب الصور فيها بدون كلمات Wordless، وهذه الكتب كما يدل عليها اسمها تحمل صوراً ولا تحمل حروفاً أو كلمات. والرسالة التي تحملها إلى الطفل يتم استيعابها من خلال مجموعة الصور الموجودة بالكتاب. وهذه الكتب يمكن أن تحكي قصة على شكل مجموعة من الصور في وضع متسلسل على كل صفحة من صفحات الكتاب، وأحياناً تكون هذه القصة بسيطة وسهلة جداً، وبإمكان طفل في الرابعة من عمره أن يحكيها بصوت عال، وبعضها يمكن أن يستمتع به أطفال ما قبل المدرسة، كما يستمتع به طفل في السنة الثانية من المدرسة الابتدائية[1]. والنوع الثاني هو الكتب المصورة؛ وهي تعتمد على تشكيلة من الصور والرسوم الإيضاحية والنصوص، بحيث يكون كل عنصر من هذين العنصرين ـ الصورة والنص ـ عنصراً مكملاً للآخر، ولا يمكن أن يكون العمل عملاً كاملاً إلا بوجود العنصرين معاً. ويفرق البعض بين المصطلح الشامل «كتب الصور» والمصطلح الأكثر دقة «كتب القصص المصورة»، حيث يرى أن كتب القصص المصورة هي الكتب التي تحكي قصة معينة من خلال حبكة وإطار فني

(1) Joan I. Glazer. **Literature for Young Children.** Columbus, Ohio: Charles E. Merrill Publishing Company, 1981, P. 40.

واضح ونهائي؛ فهي ليست سرداً أو وصفاً للأحداث اليومية، أو تصويراً لشعور شخص تجاه موقف معين، ولكنها تحتوي على مشكلة يجب أن تحل، وأحداث متعلقة بعضها ببعض[1].

2 ـ كتب الحروف ـ A B C books ـ: وهي تهدف عادة إلى تدريب الأطفال في هذه المرحلة، خاصة الذين يلتحقون برياض الأطفال، إلى تعلم حروف اللغة وبعض الكلمات، كما تعرف الطفل كيفية رسم هذه الحروف وكتابتها، وهذه الكتب هي من الكتب المهمة التي يجب أن تقدم للأطفال لتعمل على تهيئتهم وإعدادهم للمدرسة الابتدائية. ومن خلال هذا النوع من الكتب يمكننا تقديم حروف لغتنا العربية، قوام شخصيتنا ومفتاح هويتنا ولغة القرآن الكريم، إلى الطفل المسلم، وجعله يتعرف عليها من خلال وضعها في قالب جميل وعرض مشوق، وذلك بتقديم الحرف أولاً ثم عرض صورة جميلة أو رسم جذاب يدل على كلمة، تبدأ بهذا الحرف، وكلمة أخرى تحمل هذا الحرف بين حروف أخرى، وربما كلمة ثالثة الحرف الأخير منها هو الحرف المقدم للطفل... إلخ.

ويمكن أن تقدم كل حروف اللغة العربية في كتاب واحد، أو نقسمها إلى مجموعات، ونضعها في سلسلة من الكتب تقدم أولاً بأول، وفي خلال فترة زمنية محددة يكون الطفل فيها قد تعرف من خلال هذه السلسلة على كل حروف العربية. والمثال الوحيد الذي استطعنا الحصول عليه فيما يخص حروف اللغة العربية هو كتاب صديقي للتعرف على حروف الهجاء، الذي وضعته كاترين عطا الله، ونشرته «دار العربي للنشر والتوزيع» في القاهر عام 1980. وقد عرض هذا الكتاب حروف اللغة العربيةعن طريق عرض الحرف، ثم وضعه في شكل صورة أو رسم يدل على كلمة تبدأ بالحرف المعروض، وبعد ذلك يُبيَّن للطفل طريقة كتابة هذا الحرف في بداية الكلمة ووسطها وآخرها، ويُتْرَك فراغ للطفل للتدريب على كتابة الحرف الذي أمامه. والكتاب يقدم كل حروف اللغة العربية حرفاً حرفاً[2].

---

(1) نفس المصدر، ص 4 ـ 6.

(2) كاترين عطا الله. صديقي للتعرف على حروف الهجاء. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 1980، 30ص.

3 ـ كتب العد أو الحساب ـ Counting books ـ: وهذا النوع يهدف إلى تعريف الطفل على الأرقام، غالباً من واحد إلى عشرة. والوضوح عنصر هام جداً في هذا النوع من الكتب؛ فيجب أن يكون وصف الأرقام ورسمها على درجة كبيرة من الوضوح، والعلاقة بين الصور المعبر عنها يجب أن تكون دقيقة وقوية إلى أبعد الحدود، وأن تكون الأشياء المراد عدها سهلة وبالإمكان التعرف عليها من قِبَل الطفل؛ كالصور الملونة للأشياء المألوفة لدى الأطفال كالحيوانات الأليفة، أو بعض الفواكه مثل التفاح والبرتقال والموز. . . . إلخ؛ ويمكن من خلال هذه الصور أو الرسوم والأشياء الأخرى إعطاء فكرة للأطفال تدل على أن الحجم أو الموقع لا يؤثر في مكونات الأرقام[1].

4 ـ كتب المفاهيم ـ Concept books ـ: وكتب المفاهيم هي من الكتب المصورة التي تحاول تبسيط بعض المفاهيم العامة المجردة، وتقريبها للأطفال في هذه السن المبكرة. ويتم توضيح المفاهيم عن طريق عرض عدة نماذج محددة لها يستوعب من خلالها الطفل ما يعنيه المفهوم أو الفكرة التي تقدمها هذه النماذج والأشكال. وقد يتم عرض بعض المفاهيم أو الأفكار عن طريق الصور، ولكن بعض المفاهيم من الصعب جداً استخدام الصور أو الرسوم في التعبير عنها أو توضيحها. والموضوعات الأساسية لهذا النوع من الكتب عادة ما تتمثل في الألوان، والأشكال، والمسافات، والسرعة. . . إلخ.

5 ـ كتب المبتدئين في القراءة ـ Beginning readers ـ: وهذا النوع يقدم للأطفال الذين هم في بداية تعلم القراءة أو في رياض الأطفال، ويحتوي على كلمات بسيطة ليستطيع الأطفال قراءتها بأنفسهم. والكلمات في هذه الكتب يجب أن تكون سهلة وبسيطة، والجمل يجب أن تكون قصيرة ولا يبدو النص صعب الفهم للأطفال، والطباعة يجب أن تكون واضحة وكبيرة مع وجود فراغ أو مسافة بين السطور، وأن يكون النص قصيراً حتى يشجع الطفل على الإقبال على القراءة.

---

(1)Zena sutherland, P. 80.

6 ـ الكتب الموضحة ـ Illustrated books ـ : وهي الكتب التي تعتمد على الكلمات أكثر من اعتمادها على الصور لتوضيح القصة أو الفكرة موضوع الكتاب، ويشغل النص جزءاً من الصفحة أكبر من الجزء المخصص للصور أو الرسوم، والصور والرسوم هنا بإمكانها إثراء النص أو الكلمات الموجودة بالكتاب، ولكن بإمكان القارئ أن يفهم القصة أو الفكرة بدون وجود هذه الصور والرسوم التوضيحية بالكتاب[1].

وبالإضافة إلى الأنواع السابقة هناك أنواع أخرى تقدم إلى أطفال هذه الفئة من العمر؛ مثل الكتب الأولى التي يتعرف الأطفال من خلالها على بعض الأشياء المألوفة لديهم من بيئتهم التي يعيشون فيها كالألعاب، والحيوانات، وأنواع الأكل وغيرها، والكتب التي تتحدث عن بعض العوامل الطبيعية كالطقس وفصول السنة المختلفة، والكتب المشاركة التي يشارك الأطفال في تحديد بعض مضامينها، كتحديد صوت حيوان معين، أو تحديد التصرف الذي قام به شخص ما في الصورة، أو تلوين رسوم، أو إكمال الرسم عن طريق توصيل النقط الموجودة بعضها ببعض لتعطي صورة لشيء معين.

وجميع هذه الأنواع من الكتب لها دور كبير وفعّال في توسيع آفاق الطفل وإثراء حصيلته اللغوية والثقافية، وفتح أبواب التفكير عنده، وتشجيعه على عادة القراءة، والإيمان بأن القراءة هي الطريق الذي يجعل الفرد ملماً بما يدور في بيئته والعالم من حوله، وبأنها الوسيلة الفعالة لجعل الإنسان قادراً على فهم آراء غيره وإبداء رأيه الخاص في كل القضايا التي تمس حياته.

ومن أجل أن يؤدي الكتاب بجميع أنواعه ومضامينه الدور المطلوب منه في تثقيف الطفل المسلم في مراحل الطفولة المختلفة، لا بد أن تتوافر فيه العوامل التي تجعله كتاباً جيداً، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون والموضوعات التي يتناولها.

وكتب الأطفال تتعدد موضوعاتها التي يتم من خلالها نقل الثقافة والمصادر التاريخية والآداب والفنون، وهناك الموضوعات الحديثة والمعاصرة؛ كالعلوم الحديثة، وموضوعات الحياة اليومية للأفراد؛ مثل القضايا الاجتماعية، والقَصَص

---

(1)Joan I. Glazer, P. 70.

الواقعي الذي يضم قَصَص كفاح الإنسان في كل العصور من أجل عزته وحريته وكرامته، ثم الموضوعات الخيالية التي تهدف إلى توسيع آفاق الخيال عند الطفل.

ويعد المظهر الخارجي للكتاب من العوامل المهمة التي تسهم في جذب انتباه القارئ الصغير وشده لقراءته. ويؤكد عدد من الرسامين والفنانين الذين يقومون بتصميم كتب الأطفال أن المظهر الخارجي للكتاب المقدم للأطفال هو ذو أهمية كبيرة، وهو في بعض الأحيان أهم من محتويات الكتاب الداخلية، خاصة في كتب الأطفال الصغار جداً ـ أي مرحلة الطفولة المبكرة وما قبلها ـ حيث إن الأطفال في هذه المرحلة العمرية هم أكثر انجذاباً للكتب التي يتوافر فيها المظهر الجذاب والمغري، وإن هذه القضية هي التي تشكل فيما بعد حب الاستطلاع الفكري عند الأطفال عموماً[1].

والصور والرسوم لها دور كبير في توضيح ما لا تستطيع الكلمات أو النصوص توضيحه أو نقله للأطفال. فالصور قد لا توضح النص فقط، ولكن قد تعطي بعداً آخر لموضوع الكتاب، فتمنح «الشخصيات ملامحها ووجودها وتكسوها وتصنعها داخل إطار المكان»[2]. والصور كما يقول «بول فوشير» تؤثر بقوة في حساسية الطفل إلى «درجة أنها تنطبع في نفسه بشكل لا يمحى. وهي بذلك تضاعف من القدرة السحرية التي تختص بها القراءة»[3].

والصور أو الرسوم في كتب الأطفال تساعد الطفل وتعطيه القدرة على فهم النص واستيعابه، وبعد ذلك تقوده إلى أن يتمثل المضمون أو المحتوى فيكون قادراً على إدراك أبعاد الصورة أو الرسم من خلال ما أحدثته فيه من انفعالات مختلفة[4].

---

(1) Ann Pellowski. **Made To Meassure: Children's Books in developing Countries.** Paris: Unesco. 1980, P. 71.

(2) ماي أنجيلي. «تجربتي بصفتي رسامة لكتب الأطفال». الناشر العربي، ع5، يوليو 1985، ص99.

(3) نقلاً عن ماي أنجيلي، ص99.

(4) مارتان شينوفسيكي. «كتاب الطفل وقضاياه». الناشر العربي، ع5، يوليو 1985، ص101.

ويدخل في ناحية الشكل أيضاً الألوان التي يجب أن تكون معبرة تعبيراً دقيقاً عن الأشياء المستخدمة لأجلها، ومن المفضل استخدام الألوان الزاهية التي تجذب الطفل إليها. والقدرة على استخدام اللون المناسب في كتب الأطفال تعطي هذه الكتب طاقة قوية تؤثر في جذب القارئ إليها، كما أنها تساعد على تنمية الذوق الفني والجمالي عند الأطفال بدءاً من كتب الطفولة المبكرة، والكتب المصورة؛ ومروراً بالطفولة المتوسطة والمتأخرة، ثم المرحلة المثالية التي تقل فيها الصور تدريجياً. كذلك تدخل حروف الطباعة بوصفها عاملاً آخر يجب أن يتوافر في الناحية الشكلية أو الخارجية لكتب الأطفال، حيث يجب أن يراعي «التنبيهات المتعلقة بالحرف من حيث الحجم، وباللغة العربية من حيث ضبط الحركات لتتسنى للطفل استقامة القراءة ومن ثم استقامة المعنى والفهم»[1]. فحجم الحروف المستخدمة في طباعة كتب الأطفال يجب أن تكون مناسبة لمرحلة الطفولة المراد تقديم الكتاب إليها، بحيث لا تكون هذه الحروف كبيرة وهو ما قد يؤدي بالطفل إلى الاستهتار بها وعدم الإقبال على قراءتها، ولا تكون صغيرة جداً فتسبب تعباً لعيني الطفل وتؤدي إلى ضعف بصره في المستقبل.

أما الورق الذي يجب أن يستخدم في كتب الأطفال فيجب أن يكون من نوع جيد، ولا يفضل استخدام اللون الأبيض اللماع في كتب الأطفال؛ لما يسببه من إجهاد لعيون الأطفال نتيجة انعكاس الضوء عليه. ويستحسن استخدام لون مناسب كاللون الزبدي مثلاً.

أما من حيث المضمون ـ المحتوى الداخلي ـ، فإن الكتب الموجهة إلى الأطفال المسلمين يجب أن تمدهم بخلفية ثقافية عن حضارتهم الإسلامية أولاً؛ لينطلق منها الأطفال قديماً وحديثاً. فالطفل المسلم يجب أن يكون ملماً بكيفية بدء البعثة المحمدية، وصبر الرسول وأصحابه على الشدائد في سبيل نشر دعوة الحق، والتبشير بها بين البشر من جميع الأجناس، وانتصار هذه الدعوة، وإقبال الناس

(1) ذكاء الحر. الطفل العربي وثقافة المجتمع. بيروت: دار الحداثة، 1984، ص71.

عليها لما تحمله من توحيد للخالق، وما تنادي به من أُخوَّة وعدالة ومساواة بين أتباعها، وتكوين الدولة الإسلامية بعد ذلك، وبداية نشوء الحضارة الإسلامية ومميزاتها وما قدمته للبشرية كافة.

ويجب أن لا تهمل كتب الأطفال الإسلامية العمل على تثقيف الطفل المسلم بموضوعات وقضايا حديثه وجارية، قريبة مما يراه ويسمعه كل يوم. فهذه الموضوعات هي ذات أهمية وقيمة عالية في تنمية عادة القراءة وتطويرها، ومساعدة الأطفال على اكتشاف أنفسهم وما يحيط بهم، ومعرفة موقعهم من الأحداث التي تمر بهم، والظروف التي يعيشون فيها. وهذه في الواقع خبرة وجدانية فريدة يتحصَّل عليها الأطفال، فتساعدهم على النمو السليم والارتباط بالبيئة والتكيف معها[1]. كذلك بإمكان كتب الأطفال منح الطفل القدرة على أن يعي القضايا التي تمر بها الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر، وما يقوم به أعداؤها من محاولات لتمزيقها والتشكيك في عقيدتها التي تدين بها. وهذا الوعي يجعل الطفل المسلم فيما بعد يدحض كل الافتراءات التي يدسها الحاقدون لتفكيك أواصر الأخوة الإسلامية، ويقف شامخاً في وجه الذين يحاولون تشويه الدين الإسلامي، وإعطاء صورة غير سليمة عن المسلمين؛ من أجل وقف المد الإسلامي وانتشاره في مختلف قارات العالم، بعد أن تبيَّن صدق ما يدعو إليه وما ينادي به من وحدانية في العبادة ومُثُل سامية وقيم فاضلة أساسها أن لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وهذه المضامين التي تقدمها كتب الأطفال إلى الطفل المسلم يجب أن تكون مناسبة لمستوى الطفل العقلي والعاطفي، وأن تكون اللغة المستخدمة فيها مناسبة أيضاً لكل مرحلة، وأن يكون أسلوب الكتابة واضحاً ومعبراً عن هذا المضمون.

خاتمة:

الاهتمام بثقافة الطفل المسلم ضرورة من ضرورات عصرنا الحاضر، تمليها علينا الظروف التي يعيشها العالم الإسلامي، ومحاولاتنا للتقدم والنهوض من

---

(1)Ann Pellowski, P. 42.

الركود الذي نعيش فيه منذ أمد غير بعيد؛ بفعل عدة عوامل وأسباب؛ منها محاولة القوى الاستعمارية السيطرة على شعوبنا وثرواتنا، ومنها صراعنا الداخلي الناتج عن اختلاف وجهات النظر، ومحاولة كل مجموعة أو فئة فرض وجهة نظرها دون تمحيص أو معرفة أنها صالحة ومعبرة عن أماني الأمة الإسلامية وتطلعاتها، وتدور في إطار القيم والمُثُل التي ينادي بها الإسلام، وإذا كان هذا العامل له جذور في الماضي؛ كظهور بعض الحركات والفرق والطوائف التي تدّعي أنها تمثل روح الإسلام، وإن كانت بقية الأمة الإسلامية ترى غير ذلك، فإن الاستعمار عمل على تغذية هذه الحركات بمختلف الوسائل لأنه يعلم أن كثرة الآراء ووجهات النظر المتعصبة لابد أن تؤدي إلى الصراع بين أفراد الأمة وبذلك يسهل عليه التحكم فيها وتسييرها كما يشاء.

لقد حاول الاستعمار العودة إلى السيطرة علينا بطرق أخرى كالتبعية الاقتصادية والتربوية والثقافية. وإن الغزو الثقافي الذي يتعرض له العالم الاسلامي من قِبَل أعدائه ما هو إلا محاولة لإبقائه ضمن مناطق النفوذ والسيطرة الأجنبية.

وإذا أرادت الأمة الإسلامية أن تعود كما كانت، أمة قوية يخشى الأعداء شوكتها، ويخاف بطشها كل من تُسوِّل له نفسه أو يوسوس له الشيطان القيام بعمل من شأنه الإساءة إليها، لابد أن تبدأ بالأساس الأول في البناء الفكري والثقافي، الذي إذا تم بطريقة سليمة فإنه سيثمر في المستقبل عقولاً مسلمة مفكرة مبدعة، مخترعة، صانعة، تعمل على بناء حضارة إسلامية جديدة حديثة تقدم للعالم مثالاً على سماحة الإسلام، وسمو المبادئ والمُثُل والقيم التي ينادي بها من أجل حياة سعيدة للإنسانية على اختلاف ألوانها وأجناسها تضم خيري الدنيا والآخرة، وهذا الأساس هو الطفل المسلم. فالأمة الإسلامية يجب أن تبذل كل الجهود والإمكانيات التي من شأنها الرفع من مستوى الثقافة المقدمة للأطفال المسلمين، وتكوين أجهزة ثقافية وإعلامية قادرة على التخطيط السليم والواعي والمنظم لكل ما يخص ثقافة الطفل في العالم الإسلامي. هذه الثقافة التي تدعو إليها يجب أن تأخذ

في حسبانها رغبات الطفل المسلم، واحتياجاته بما يتناسب مع مراحل النمو المختلفة للأطفال، وأن تُعرِّف الطفل المسلم بتراث أمته الخالدة وتاريخها المشرق المجيد ودورها في الحضارة الإنسانية، وأن تعمل على إعداده إعداداً إيجابياً سليماً في المجتمع الإسلامي؛ ليأخذ مكانه، ويشق طريقه، ويعي دوره في بناء مجتمعه، ويكون مستعداً لتحمُّل مسؤولياته في الدفاع عن الإسلام والمسلمين إذا اقتضى الأمر ذلك. والثقافة الإسلامية للأطفال يجب أن تعمل على تقوية الالتزام بالنظام واتِّباع الأنماط السلوكية التي ينادي بها الإسلام لدى الطفل، كحب الآخرين، والمساواة، والعدل، وأن تهدف إلى خلق روح التضامن والتعاون بين الأطفال المسلمين، وأن توقظ فيهم مواهبهم واستعداداتهم، وتقوي فيهم ميولهم وطموحاتهم، وتنتهي بهم إلى الشغف بالقراءة والمثابرة عليها، لأن القراءة هي مفتاح العلم والثقافة والمعرفة، وخير مثال على أهميتها في حياة المسلم، هو أن أول أمر إلهي نزل على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هو الأمر بالقراءة «اقرأ». وقد حرص المسلمون الأوائل على تنفيذ هذا الأمر وحرصوا على استمراريته والعمل به من قِبَل الأجيال الإسلامية المتعاقبة، فكان من ثماره حضارة متكاملة سياسِياً واجتماعياً واقتصادياً وعلمياً، لم ير العالم قبلها حضارة أتت بما جاءت به الحضارة الإسلامية من تقدير لقيمة الإنسان الذي جعله الله خليفته في الأرض، ومازال العالم حتى وقتنا الحاضر يكتشف مع فجر كل يوم جديد جزءاً من تراثها العلمي والثقافي الذي قدمته من أجل رفاهية الإنسان وسعادته وحريته.

والطفل المسلم في الوقت الحاضر هو عماد المجتمع الاسلامي وعدته في المستقبل. فهو الذي سيكون العالِم، والمناضل، والقائد، والمبشر، والمخترع، والحكيم، والمعلم، والمصلح... إلخ، فلا بد إذن من الاهتمام بتكوين شخصيته ومفاهيمه وثقافته وعلمه. ويمكن أن تسهم كل وسائط الثقافة المختلفة من كتب ومجلات و«سينما» وإذاعة مسموعة ومرئية ومسرح في تكوين مفاهيم وأساسيات ثقافة الطفل المسلم، ولكن يبقى الكتاب هو الوسيط الذي يمكننا أن نعتمد عليه اعتماداً كبيراً في تثقيف الطفل المسلم؛ لما يتوافر فيه من عناصر تجعله رفيقاً

وصديقاً وحبيباً للطفل لا تتوافر في بقية الوسائط الأخرى؛ مثل مقدرته ـ الكتاب ـ على تقديم «الحقائق» والمفاهيم والأفكار إلى الطفل مثبتة على الورق، وذلك يجعل الطفل يتعامل معها وقتاً طويلاً، وبأناة تامة، كما يمكن له أن يعود إليه في أي وقت يشاء، في حين أن هذه الأمور لا تتهيأ للأطفال من خلال الإذاعة والمسرح والخيالة [السينما]، إذ كثيراً ما تغيب عن ذهن الطفل الصور والقيم بعد وقت قصير»[1].

فمن أجل الاهتمام بمستقبل الأمة الإسلامية يجب أن نحرص على إقامة حركة نشر قوية، تتولى إمداد أطفالنا بالكتاب الذي يجدون فيه المعلومات والمتعة والتسلية؛ الكتاب الذي تكون معلوماته ومحتوياته دافعاً لتفكير الطفل المسلم وحثه وحفزه على النهل من العلوم الحديثة، واكتساب خلفية ثقافية عن ماضيه وتراثه وحضارته؛ لتكون جسراً يربطه بالحاضر ويعبر عليه نحو المستقبل.

ويمكن أن تسهم في إنعاش حركة نشر كتب الأطفال في العالم الإسلامي المؤسسات الرسمية والشعبية على السواء؛ حيث إن الهدف الذي تسعى إليه هدف واحد يرمي إلى بناء المجتمع الإسلامي القوي المتميز، الخالي من العنصرية والتعصب والعبودية والجهل، دستوره ودليله القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة.

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

صدق الله العظيم

---

(1) مفتاح محمد دياب. «ثقافة الطفل العربي»، ص75.